

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا وحبیب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### الصراط المستقيم في مواجهة الحكومات الظالمة

(٤)

قال الله العظيم في كتابه الكريم: (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) <sup>(١)</sup> وقال جل اسمه: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) <sup>(٢)</sup> وفي مقابل الصراط المستقيم تقع السبل (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ).

ومن أهم سبل الضلال ما ذكره تعالى بقوله: (وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) <sup>(٣)</sup>

### من بصائر النور في آية الصراط المستقيم

ولنتوقف في البداية عند بصيرة قرآنية هامة في آية الصراط المستقيم فنقول: ان مفردة (الصراط) تحتل موقعاً شديداً الأهمية في هذه الآية الكريمة لخصوصيتها وفرادتها وتمييزها على سائر المفردات المضارعة والمشابهة، ومن تلك المفردات (الطريق) فان الصراط كما فسروه يعني (الطريق).

### لماذا (الصراط) وليس (الطريق)؟

ولكن لماذا لم يقل جل اسمه (اهدنا الطريق المستقيم) مع ان الطريق مفردة واضحة جلية الدلالة والمعنى؟ وعندما نتدبر ونتفكر في الأسباب والعلل المحتملة الآتية فاننا سنكتشف جانباً من تجليات عظمة القرآن الكريم وبعض أسرار إعجازه في انتقاء الكلمات، بنحو مذهل، ويمكننا هنا الإشارة إلى بعض ما يخطر بالبال من العلل المطروحة على ساحة البحث والتحليل:

### (الصراط) تحمل إرثاً تاريخياً وكنزاً من البطون

أولاً: لأن كلمة (الصراط) تحمل إرثاً تاريخياً وتستبطن كنزاً من البطون والمضامين والدلالات.  
ثانياً: لأن كلمة (الصراط) تحيط بها هالة من الإبهام، بحيث تتناسب مع تعلق مفردة (أهدنا) بها، تماماً.  
ثالثاً: لأنها لا مثق لها من لفظها ولا جمع لها، مما يستشتم منه ان الصراط ذاتية الوحدة والتفرد.  
وتوضيح ذلك:

١- ان الحزين التاريخي المعرفي الذي يكتنزه (الصراط) يتضح عبر إلقاء نظرة سريعة على ما ذكره اللغويون في مفردة الصراط ومناقشته على ضوء علم فقه اللغة، فقد ذكروا:

### اللغويون: الصراط يعني: البلع والازدراد!

(سرت: سرت الطعام والشيء، بالكسر، سرتاً وسرتاناً: بلعه، واسترطه وازدرده: ابتلعه، ولا يجوز سرت؛ وانسرت الشيء في

(١) سورة الفاتحة: آية ٦.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

(٣) سورة القصص: آية ٤١-٤٢.

حَلَقَهُ: سَارَ فِيهِ سَيْرًا سَهْلًا. وَالْمَسْرَطُ وَالْمَسْرَطُ: الْبُلْعُومُ، وَالصَّادُ لُغَةٌ. وَالسَّرَوَاتُ: الْأَكُولُ؛ عَنِ السَّيرَانِيِّ. وَالسَّرَاطِيُّ وَالسَّرَوْتُ: الَّذِي يَسْتَرِطُ كُلَّ شَيْءٍ يَبْتَلِعُهُ. وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ سَرِطٌ وَسَرِطٌ يَبْتَلِعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ مِنَ الْإِسْرَاطِ... وَفِي الْمَثَلِ: لَا تَكُنْ حُلُومًا فَتُسْتَرِطَ، وَلَا مُرًّا فَتُنْعَقَى، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَعْقَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَرْزَلْتَهُ مِنْ فِيكَ لِمَرَاتِهِ كَمَا يُقَالُ أَشَكَيْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَرْزَلْتَهُ عَمَّا يَشْكُوهُ. وَرَجُلٌ سَرِطِيٌّ وَسُرْطٌ وَسَرَطَانٌ: جَيْدُ اللَّفْمِ. وَفَرَسٌ سُرْطٌ وَسَرَطَانٌ: كَأَنَّهُ يَسْتَرِطُ الْجَزْيَ. وَسَيْفٌ سُرَاطٌ وَسُرَاطِيٌّ: فَاطِعٌ يَمُرُّ فِي الضَّرْبَةِ كَأَنَّهُ يَسْتَرِطُ كُلَّ شَيْءٍ يَلْتَهُمْهُ...

وَالسَّرَاطُ: السَّبِيلُ الْوَاضِحُ، وَالصَّرَاطُ لُغَةٌ فِي السَّرَاطِ، وَالصَّادُ أَعْلَى لِمَكَانِ الْمُضَارَعَةِ، وَإِنْ كَانَتْ السَّيْنُ هِيَ الْأَصْلُ، وَقَرَأَهَا يَعْقُوبُ بِالسَّيْنِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ تَبَيَّنَّا عَلَى الْمُنْهَاجِ الْوَاضِحِ؛ وَقَالَ جَرِيرٌ:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ... إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

وَالْمَوَارِدُ: الطَّرِيقُ إِلَى الْمَاءِ، وَاحِدَتُهَا مَوْرِدَةٌ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَنَفَرَ مِنْ بَلْعَنٍ يَصِيرُونَ السَّيْنِ، إِذَا كَانَتْ مُقَدِّمَةً ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا طَاءً أَوْ قَافًا أَوْ غَيْنًا أَوْ حَاءً، صَادًا وَذَلِكَ أَنَّ الطَّاءَ حَرَفٌ تَضَعُ فِيهِ لِسَانُكَ فِي حَنَكِكَ فَيَنْطَبِقُ بِهِ الصَّوْتُ، فَقَلَبْتَ السَّيْنُ صَادًا صَوْرَتَهَا صُورَةَ الطَّاءِ، وَاسْتَحَقُّوْهَا لِيَكُونَ الْمَخْرُجُ وَاحِدًا كَمَا اسْتَحَقُّوا الْإِذْغَامَ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ الصَّرَاطُ وَالسَّرَاطُ، قَالَ: وَهِيَ بِالصَّادِ لُغَةٌ قُرَيْشٍ...<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء يرون ان الصراط هي بالأصل السراط ثم انهم فسروا السراط بالابتلاع والازدراء كما يقال سراط الطعام إذا بلعه واسترطت الطعام إذا ازدرته، وسميت الطريق صراطاً لأنه يبتلع سالكه أو لأن سالكه يبتلعه!

قال الراغب في مفرداته: (السَّرَاطُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَسْهَلُ، أَصْلُهُ مِنْ: سَرَطْتُ الطَّعَامَ وَزَرَدْتَهُ: ابْتَلَعْتَهُ، فَقِيلَ: سِرَاطٌ، تَصَوُّرًا أَنَّهُ يَبْتَلَعُهُ سَالِكُهُ، أَوْ يَبْتَلَعُ سَالِكُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قِيلَ: قَتَلَ أَرْضًا عَالِمَهَا، وَقَتَلْتَ أَرْضَ جَاهِلِهَا، وَعَلَى النَّظَرِ قَالَ أَبُو تَمَامٍ: رَعْتَهُ الْفِيَّافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً... رَعَاهَا وَمَاءُ الْمُزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً)<sup>(٢)</sup>

أقول: الوجه فيه: ان الراكب على جواد أو في سيارة مسرعة مثلاً فإنه إذا نظر أمامه إلى الأرض فإنه يخيل إليه ان السيارة تبتلع الأرض لسرعة طيها من تحته، أو ان الناظر من بعيد أو من علٍ إذا رأى الراكب أو الماشي في الطريق يبتعد رويداً رويداً حتى يختفي فكأنه يستشعر ان الطريق قد ابتلعه!

وبعبارة أخرى: كما ان ابتلاع الطعام يتضمن مروراً للطعام من الفم إلى الحلق والحنجرة والمرئي واختفائه كذلك السائر في الطريق فإنه يذهب فيه إلى ان يختفي.

وقال في معجم مقاييس اللغة: (سراط: السين والراء والطاء أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على غَيْبَةٍ فِي مَرٍّ وَدَهَابٍ. مِنْ ذَلِكَ: سَرَطْتُ الطَّعَامَ، إِذَا بَلَغْتَهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سُرِطَ غَابَ. وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: السَّرَاطُ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الدَّاهِبَ فِيهِ يَغِيبُ غَيْبَةً الطَّعَامِ الْمُسْتَرِطَ)<sup>(٣)</sup>

### المناقشة: أ- الصراط كلمة من الإرث الإبراهيمي عليه السلام

ولكن الظاهر ان ذلك ليس بالصحيح وان الصراط ليس من مادة سراط ولا ان معناه انه يسترط المارة وابتلعها أو المارة

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩م، ج ٧ ص ٣٥٣.

(٢) الراغب الاصفهاني، مفردات الراغب الاصفهاني مع ملاحظات العامل، دار المعروف للطباعة والنشر، ص ٣٨٨.

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، منشورات مكتب التبليغ الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم، ج ٣ ص ١٥٢.

تستتره وتزدرده! فذلك تكلف واضح واجتهاد حدسي لا دليل عليه وهو مبني على مجرد تقارب الحروف في الكلمتين.

والصحيح هو: ان (الصراط) هي مفردة من إرث الأديان الإبراهيمية وان هذه الكلمة كانت مجهولة لدى قريش إذ ضاعت كما ضاعت الكثير من معالم ديانة إبراهيم، وحيث وجدوها قريبة من سرط توهموا انها هي! بل نطقوها بالسین أيضاً! وعلى الرغم من ان الكتابة في القرآن الكريم هي بالصاد ولكننا نجدهم يضعون سیناً فوقها إشارة إلى انها بالأصل سین! وهو اجتهاد غريب.

ويكفينا دليلاً على ما ذكرناه ان بعض اللغويين<sup>(١)</sup> نص على انها (وَهِيَ بِالصَّادِ لُغَةً قُرَيْشِيَّةٌ الْأَوَّلِينَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ، قَالَ: وَعَامَّةُ الْعَرَبِ بَجَعَلَهَا سِينًا)<sup>(٢)</sup> كما جاء في لسان العرب.

والظاهر حجية نقل خبراء اللغة في مثل ذلك، كما فصلناه في كتاب (حجية مراسيل الثقافات المعتمدة)، ويكون نطق العرب للصاد بالسین توهماً منهم فانهم حيث لم يجدوها بالصاد في لغتهم توهموا ان (الصراط) هو (السرط) مع انه اجتهاد عقلي في أمر نقلي محض.

وعلى ذلك فالظاهر ان الصراط في (اهدنا الصراط المستقيم) قد ذكر لأنها مفردة جاءت في الديانة الإبراهيمية عليه وعلى نبينا وآله السلام، فتشير فيما تشير إلى ان الإسلام الذي جاء به الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه واله وسلم هو الصراط المستقيم الذي أرشد إليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وان صراط الله تعالى على امتداد تاريخ البشر هو صراط واحد مستقيم في أصوله وأساسه وقواعده وإن كان مما يتكامل في أحكامه وتفصيله. ولعله يمكن استنباط ذلك من بعض الآيات الأخرى كقوله تعالى: (قُلْ إِنِّي هَدَايَ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا)<sup>(٣)</sup> وإن كان ظاهرها المعنى لا اللفظ خاصة ولا اللفظ والمعنى، فتدبر.

### ب- الصراط فيه نوع إبهام، فناسب (أهدنا)

٢- ومن ذلك يظهر وجه احتمالي آخر لاختيار كلمة (الصراط) وهي ان فيه، كما ظهر من البحث اللغوي الآنف، نوعاً من الإبهام في نفس اللفظ كما ان فيه نوعاً من الإبهام في ذاته لذا احتاج إلى مرشد من السماء إذ لا يعرف الناس الصراط المستقيم عادة إلا برسل مبعوثين من قبل الله تعالى فاحتاج الصراط الإلهي إلى هداية ربانية، فبذلك يكون عالم الإثبات قد طابقت عالم الثبوت ويكون فيه إشارة خفية إلى انه كما ان الصراط في لفظه تجهله قريش فكذلك هو في مصداقه وجوهره فاحتاج إلى الاستعانة بالله تعالى بالقول بصدق وإخلاص (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

### ج- لا مثنى للصراط، عكس الطريق

٣- ان الصراط لا مثنى له من لفظه ولا جمع، عكس الطريق والسبيل، ولذا نجد - وكما سبق - ان القرآن الكريم لم يأت بثنية أو جمع للصراط أبداً بل حيث وجب ان يذكر مقابلاً للصراط لم يذكر الصراطات مثلاً بل ذكر السبل، قال تعالى: (وَأَنَّ

(١) كالفرء مثلاً.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩م، ج ٧ ص ٣٥٤.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٦١.

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ<sup>(١)</sup>.

وذلك يستبطن دلالة أخرى أيضاً وهي ان الصراط واحد ولا يمكن ان تكون هناك صراطات مستقيمة! فكما ان الله تعالى (أحد) لا ثاني له كذلك (الصراط) واحد<sup>(٢)</sup> لا ثاني له! فكأنها تفيد ان الصراط ذاتية التفرد والوحدة! وذلك هو ما يؤكد حديث الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة فان مضمونه يمكن ان يعضد بمثل هذه الآية القرآنية الكريمة. فهذه بعض الوجوه المحتملة وراء السر في اختيار مفردة الصراط بديلاً عن الطريق والسبيل في الآية الشريفة، وسيأتي ذكر بعض الوجوه الأخرى بإذن الله تعالى.

### من البصائر في آية الصراط

وقد سبق: (ان المراد من الهداية في الآية الكريمة قد يكون هو الهداية في مرحلة العلة المبقية فيكون الطلب طلباً لديمومة الهداية واستمراريتها فهو طلب يتعلق بالهداية في عمود الزمن وامتداداته، وقد يكون طلباً للمراتب العليا من الهداية فهو طلب يتعلق بالجانب الكيفي ودرجات الإيمان والهداية والاهتداء، وقد يكون طلباً للهداية التكوينية بعد التشريعية التي تعني الإيصال للمطلوب لا مجرد إراءة الطريق، وقد يكون طلباً للهداية بحسب تجلياتها في المفردات المتجددة والمصاديق المستحدثة، والكلام الآن يدور حول القسم الرابع فنقول:

### دوائر الهداية في المفردات المتجددة

ان الهداية لدى مواجهة المصاديق المتجددة والمفردات المستجدة، هي ذات دوائر عديدة:

الدائرة الأولى: دائرة الأحكام.

الدائرة الثانية: دائرة الموضوعات.

الدائرة الثالثة: دائرة النظريات العامة.

الدائرة الرابعة: دائرة القيادة الإسلامية.

الدائرة الخامسة: دائرة الأدلة والحجج والبراهين<sup>(٣)</sup> وهناك دوائر أخرى أيضاً:

### ٦- الهداية في دائرة المواقف المتجددة

الدائرة السادسة: دائرة المواقف.

فان الإنسان يكون بأمر الحاجة إلى هداية الله تعالى وتسديده في كافة المواقف الصعبة خاصة المصيرية منها.

### الموقف من الحكومات المستبدة الجائرة

ومن أهم المواقف التي تبرز فيها الأهمية البالغة للهداية الإلهية المباشرة، الموقف من الحكومات الجائرة والذي يُعدّ على امتداد التاريخ من أصعب المواقف إن لم يكن الأصعب على الإطلاق.. ذلك ان الحكومات المستبدة تمتلك الأموال والمناصب والوظائف والإعلام كما تمتلك جمهوراً عريضاً من الغوغاء الذين ينعقون مع كل ناعق، ومن يقف أمامها فان بمقدورها ان تسحقه بلا رحمة،

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

(٢) تلاحظ الدقة في تغيير أحد إلى واحد.

(٣) راجع الدرس (٢٧٨).

بل وفوق ذلك فانهم قد يقتلونه بسلاح الشرعية وباسم الإسلام المحمدي الأصيل:

وَيُكَبِّرُونَ بِأَن قُتِلَتْ وَأُمَّا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

فهم يمتلكون العصى الغليظة والجزرة الحلوة! ويمتلكون ان يجرموا من ينهاتهم عن المنكر ولو بأبسط العبارات، من المنبر والمحراب والتدريس والتأليف، أو السفر والحضر والتجارة بل وأي نوع من أنواع المشاركة في الحياة العامة إلى غير ذلك. لذلك فان من الطبيعي ان يصاب الأكثر بالرعب حتى من مجرد التفكير في مقارعة الحاكم الجائر.

### معادلات وأحكام في العلاقة بالحكام

وعلى ضوء ذلك كان من الضروري الإشارة إلى بعض القواعد العامة والأحكام الهامة التي تحكم معادلة المظلوم - الظالم. والحديث موجه لكافة الطلاب الكرام والعلماء والأفاضل ولكافة المثقفين والأطباء والمهندسين والصحفيين والجامعيين ولعامة الناس أيضاً، فان امتحان العلماء والمثقفين وعامة الناس مع الحكام الظلمة والسلطات المستبدة عسير شديد وما أكثر من سقط في هذا الامتحان الصعب فقد قال تعالى: (الم \* أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)<sup>(١)</sup> بل بلغ الأمر بالناس إلى درجة إلى ان يتظاهروا على سبط رسول الله وأعظم خلائق الله في ذلك العصر متسلحين بسلاح الشرعية الكاذبة التي أضفها أمثال (عمرو بن سعد وشبث بن ربعي) وأضربهم حتى ورد بفتوى شريح القاضي: انه عليه السلام: (خرج عن حدّه فقتل بسيف جدّه).

### ١ - المظلوم أقوى من الظالم دائماً

فمن المعادلات: ان المظلوم أقوى من الظالم دائماً وإن بدأ الظالم منتصراً؛ ذلك ان فوقهما الله تعالى وقد ورد ((يَوْمَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ))<sup>(٢)</sup>

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ((مَا مِنْ مَظْلَمَةٍ أَشَدَّ مِنْ مَظْلَمَةٍ لَا يَجِدُ صَاحِبَهَا عَلَيْهَا عَوْنًا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))<sup>(٣)</sup>  
وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ أَنْ أَنْتِ هَذَا الْجَبَّارَ فَقُلْ لَهُ إِنِّي لَمْ أَسْتَعْمَلْكَ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكَ لِتَكْفَّ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ؛ فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ ظُلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا))<sup>(٤)</sup>

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ((لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَفَاةَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ))<sup>(٥)</sup>

### عقوبة غريبة لمن رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم، فمنعه الماء

(١) سورة العنكبوت: آية ١-٣.

(٢) السيد الشريف الرضي، نهج البلاغة، دار الهجرة للنشر - قم، ص ٥١١.

(٣) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ج ٢ ص ٣٣١.

(٤) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ج ٢ ص ٣٣٣.

(٥) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ج ٢ ص ٣٣١.

وقد جاء في التاريخ أن بعض الظلمة من جيش يزيد وابن زياد وعمرو بن سعد رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم فحال بينه وبين ان يشرب الماء، والظاهر ان القضية كانت حين سقط سيد الشهداء على الأرض وقد غطت دماؤه الطاهرة بدنه الزاكي وكان على وشك اللقاء بجبار السماوات والأرض فجاءه أحدهم بماء ليشرّب فرماه ذلك اللعين بسهم فحال بينه وبين شرب الماء، فدعى عليه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً (اللهم أضمه).

وبعض الأدعية سرعان ما تستجاب وبعضها يؤخره الله تعالى لأجل، لكن الدعاء لا محالة يستجاب لقوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)<sup>(١)</sup> وكان هذا الدعاء على ذلك الظالم مما أسرعت إليه الإجابة، فابتلي بمرض غريب حتى انه كان يصيح مما يستشعره من الحرارة الشديدة في بطنه ومعدته ومما يملكه من البرودة الشديد في ظهره، وكان البرد في ظهره والحرّ في بطنه من الشدة حتى انهم كانوا يضعون الثلج على بطنه ويسلطون على بطنه المراوح ولم يكن ينتفع منها بشيء! كما كانوا يضعون خلف ظهره المصطلي وجمرات النيران المتوقدة حتى يكاد ظهره يحترق ولكن ومع ذلك كان البرد القارس على شدته لا يتغير أبداً! إضافة إلى ذلك فقد كان يؤتى بسويق كثير جداً، والسويق هنا يراد به الماء مع الحليب ممزوجاً، فكان يشرب بمقدار ما يشربه خمسة أشخاص وهو مع ذلك يصيح (اسقوني! اهلكني العطش!) وكان لا يجديه شيئاً! وكان يشرب ويشرب ويشرب حتى انقذ بطنه وانفجر كما ينقذ البعير! فهذه معادلة من المعادلات.

## ٢- التبرير للحاكم الظالم، من الكبائر

ومن الأحكام: التبرير للظالم والحاكم المستبد، حرام بل هو من أشدّ المحرمات، فان بعض الناس درج على اختلاق الأعذار للظالم بدل الانتصار للمظلوم فإذا رأى عالماً سجن لأنه نطق بالحق ونهى عن المنكر أو مؤمناً حُبس لأنه دافع عن ظلامة من ظلمات الناس، برّ للظالم ولو بمقدار أن (الحق عليه) والعتب عليه، وباللهجة الدارجة (صوجه)!! وان الذي يقارع الظالم ولو بنهي عن المنكر وأمر بالمعروف فانه قد خالف القانون وعرض نفسه للسجن والأذى فهو الذي قد حفر قبره بيديه فماذا تتوقعون منّا!

## ((مَنْ عَدَرَ ظَالِمًا بِظُلْمِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ))

والغريب ان الله تعالى قد أعدّ العقوبة لمن يعذر الظالم بظلمه، في الدنيا قبل الآخرة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: ((مَنْ عَدَرَ ظَالِمًا بِظُلْمِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ فَإِنْ دَعَا لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللَّهُ عَلَى ظُلَامَتِهِ))<sup>(٢)</sup> فالأثر الوضعي لمن يعذر الظالم في ظلمه هو ان يسلط الله عليه من يظلمه جزاء خذلانه للمظلوم وإعذاره الظالم في ظلمه، وفوق ذلك فانه لا يعطيه الله أجراً رغم وقوعه مظلوماً مع ان أجر المظلوم عظيم وذلك لمجرد انه أعذر ظالماً يوماً ما في ظلمه! و((عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ مَنْ ارْتَكَبَ أَحَدًا بِظُلْمٍ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ بِمِثْلِهِ أَوْ عَلَى وُلْدِهِ أَوْ عَلَى عَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ))<sup>(٣)</sup>

فهذا حكم من الأحكام مع بعض آثاره الوضعية.

## ٣- الآثار الأخروية لإعانة الظالم:

(١) سورة غافر: آية ٦٠.

(٢) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ج ٢ ص ٣٣٤.

(٣) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٦ هـ، ٢٧٣.

ومن المعادلات: ما ورد في الحديث الشريف عما هو مكتوب على الباب الرابع من أبواب جهنم فقد ورد ((وَعَلَى الْبَابِ الرَّابِعِ مَكْتُوبٌ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَهَانَ الْإِسْلَامَ، أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَهَانَ أَهْلَ الْبَيْتِ، أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَهَانَ الظَّالِمِينَ عَلَى ظُلْمِهِمْ لِلْمَخْلُوقِينَ))<sup>(١)</sup> والظاهر ان هذا الباب الرابع مخصص لدخول هذه الطوائف الثلاثة إلى النار ١- من أهان الإسلام،

٢- من أهان أهل البيت، ٣- من أهان الظالمين على ظلمهم للمخلوقين، فهم جميعاً في موقع واحد من مواقع جهنم!

((مَنْ مَدَحَ سُلْطَانًا جَائِرًا كَانَ قَرِينَهُ إِلَى النَّارِ))

بل وفوق ذلك ورد في أمالي الصدوق: في مناهي النبي صلى الله عليه واله وسلم: ((قَالَ: مَنْ مَدَحَ سُلْطَانًا جَائِرًا وَتَخَفَّ وَتَضَعَّعَ لَهُ طَمَعًا فِيهِ كَانَ قَرِينَهُ إِلَى النَّارِ؛

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ دَلَّ جَائِرًا عَلَى جَوْرِ كَانَ قَرِينًا هَامَانًا فِي جَهَنَّمَ؛

وقال صلى الله عليه واله وسلم: مَنْ تَوَلَّى خُصُومَةَ ظَالِمٍ أَوْ أَهَانَ عَلَيْهَا ثُمَّ نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ قَالَ لَهُ: أَبَشِرْ بِلَعْنَةِ اللَّهِ

وَنَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ؛

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَلَا وَمَنْ عَلَّقَ سَوْطًا بَيْنَ يَدَيْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ السَّوْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعْبَانًا

مِنَ النَّارِ طَوْلُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ،

ونهى عن إجابة الفاسقين إلى طعامهم))<sup>(٣)</sup>

و((عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل (إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمْرِصَادٍ) قَالَ قَنْطَرَةٌ عَلَى الصِّرَاطِ لَا يَجُوزُهَا عَبْدٌ

بِمُظْلِمَةٍ))<sup>(٤)</sup> فهذه قاعدة من القواعد.

#### ٤- من أكبر الكبائر إضفاء الشرعية على الحاكم الجائر

ومن الأحكام: ان من أكبر الكبائر ومن أشد المحرمات إضفاء الشرعية على الحكام الظلمة.. ذلك ان الحكومات المستبدة

الظالمة وعلى مر التاريخ كانت تتسلح في ظلها للناس بسلاح الشرعية الذي تستحصله من الكهنة والقسيسين والرهبان والأخبار ورجال الدين السنة أو الشيعة، أي العلماء في كافة المذاهب والأديان..

فسرّحوا النظر إلى كافة الحكومات الجائرة عبر التاريخ فهل تجدون حكومة خلت من العلماء من أعوان الظلمة؟

#### رسالة نادرة من الإمام السجاد عليه السلام إلى الزهري

ويكفيينا نموذجاً على ذلك ان الزهري كان واحداً من أعلم علماء العصر وكان معروفاً بالقدس والورع وكان عظيم المنزلة جداً

عند العلماء كما عند عامة الناس.. ولكنه تحوّل إلى واحد من أهم أركان الخليفة الأموي الجائر وكان من المكانة العظيمة عند

الناس بحيث ألم الإمام السجاد عليه السلام أشد الإيلام بتبليسه على الناس، بل انه أخرج موقع الخلافة الشرعية إذ أسدل عباءة

(١) المحدث النوري، مستدرک الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم، ج ١٣ ص ١٢٦.

(٢) سورة هود: آية ١١٣.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، المكتبة الإسلامية - قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٢٦.

(٤) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ج ٢ ص ٣٣١.

الشرعية على الخلافة الأموية، وذلك انه كان من أعلم علماء عصره إن لم يكن الأعم وكفي قول الإمام السجاد عنه (( فَقَدْ أَثْقَلْتَنكَ نِعْمَ اللَّهِ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ مِنْ عُمْرِكَ وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجُجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ وَعَرَّفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ )) بل بلغ الأمر إلى درجة ان يكتب الإمام السجاد له رسالة نادرة - غريبة في مضامينها تكشف عن عمق المأساة عندما يدخل العلماء في سلك الحكام ويبررون للحكام أعمالهم وظلمهم وجورهم.

فقد كتب الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) في كتابه للزهري محذراً له عن عظيم عقاب الله له على إعانتة الظلمة على ظلمهم: ((كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتَى وَرَحِمَكَ مِنَ النَّارِ فَقَدْ أَصَبَحْتَ بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَّفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ فَقَدْ أَثْقَلْتَنكَ نِعْمَ اللَّهِ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ مِنْ عُمْرِكَ وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجُجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ وَعَرَّفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

فَرَضَ لَكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ وَ فِي كُلِّ حُجَّةٍ أَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ الْفَرْضَ فَمَا قَضَى إِلَّا ابْتَلَى شُكْرَكَ فِي ذَلِكَ وَ أَبْدَى فِيهِ فَضْلَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ (لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) فَاَنْظُرْ أَيُّ رَجُلٍ تَكُونُ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعْمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا وَ عَنْ حُجُجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا؟

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ قَابِلًا مِنْكَ بِالتَّعْذِيرِ وَ لَا رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَيْسَ كَذَلِكَ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ (لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ)

وَاعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَ أَحْفَ مَا احْتَمَلْتَ أَنَّ آنَسْتَ وَحَشَةَ الظَّالِمِ وَسَهَلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْعِيبِ بِدُنُوكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَاجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ فَمَا أَخَوْفِي أَنْ تَكُونَ تَبَوُّءَ بِإِثْمِكَ غَدًا مَعَ الْحَوْنَةِ وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّالِمَةِ إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّنْ أَعْطَاكَ وَدَنَوْتَ مِمَّنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا وَلَمْ تَرُدَّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ وَأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَوْلَيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ جَعَلُوكَ قُطْبًا أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ وَ جِسْرًا يَعْْبُرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بَلَايَاهُمْ وَ سُلْمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ دَاعِيًا إِلَى غِيْبِهِمْ سَالِكًا سَبِيلَهُمْ يُدْخِلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَ يَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَبْلُغْ أَحْصُ وُزْرَائِهِمْ وَ لَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ وَ اخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَ الْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ فَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطُوكَ فِي قَدْرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ وَ مَا أَيْسَرَ مَا عَمَرُوا لَكَ فِي كَنْفِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ...))<sup>(١)</sup>

وعبارات الإمام دقيقة ذات دلالات بالغة جداً ولنسلط العدسات على بعضها فقط:

أ- ((وَاعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَ أَحْفَ مَا احْتَمَلْتَ أَنَّ آنَسْتَ وَحَشَةَ الظَّالِمِ...)) فحتى هذا المقدار حرام وإثم ومعصية.

ب- ((جَعَلُوكَ قُطْبًا أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ وَ جِسْرًا يَعْْبُرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بَلَايَاهُمْ وَ سُلْمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ)) وذلك لأن

الحكام الظلمة لا يمكنهم عادة الظلم إلا متسلحين بسلاح الشرعية التي يمنحها لهم العلماء مقابل بعض حطام الدنيا!

ج- قوله عليه السلام: ((يُدْخِلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ)) وهو أغرب إذ يظهر منه ان الزهري كان أكبر أو من أكبر

علماء عصره حتى ان العلماء إذ كانوا يرونه مع الحاكم الأموي كانوا يشكون في ان الحق مع من؟ مع أهل البيت؟ أم مع الشجرة

(١) الحسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٧٥.



الملعونة في القرآن؟ بل لعلمهم كانوا يحدعون به حتى ليكاد يخيّل إليهم ان الأمويين على حق لأن مثل الزهري معهم! وما أعظم ما يشكّله ذلك من إحراج لجهة الحق وأعلام التقى بل ما أعظم ما شكّله من إحراج للإمام السجاد عليه السلام بنفسه حتى كتب له هذه الرسالة المؤلمة - المقرحة.

د- قوله عليه السلام: ((فَلَمْ يَبْلُغْ أَحْصُ وُزَرَائِهِمْ وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ وَاخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ))<sup>(١)</sup> والذي يدل بوضوح على ان اقوى دعائم الظلم هم العلماء وانهم اقوى من سائر أعوانهم كافة من ضباط وقادة ورؤساء وجيوش ووزراء ومسؤولين..

### أحاديث غريبة وضعها ضد أهل البيت عليهم السلام تزلفاً للسلطان

ولعل السر في تشدّد الإمام السجاد عليه السلام في الكلام معه وعمق تألمه منه يعود إلى انه كان قد برع في جعل الأحاديث ضد أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء (وهذا لعمرى من العجائب) وفي وضع الأحاديث التي تكسر دعائم الحكم الأموي الجائر حتى ان ابن أبي الحديد صرح بان الزهري كان مثل أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو العاص في وضع الأحاديث واختلافها وجعلها على لسان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم.

فقد روى (!) الزهري بأن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم طرق باب علياً وفاطمة (عليهما السلام) فقال لهما: ألا تصليان؟ قال علي فقلت: يا رسول الله إنّما أنفسنا بيد الله عزّ وجلّ فإن شاء أن يبعثنا بعتنا، فانصرف النبي وهو يقول: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)<sup>(٢)</sup>.

والكذب والدجل واضح بيّن وقد أراد الزهري ان يحوّل الفضيلة إلى رذيلة بعد ان لم يمكنه إنكارها من أصلها إذ كان الناس يعلمون ان الرسول عندما نزل قوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)<sup>(٣)</sup> كان يمر على بيتهما لمدة ثمانية أشهر أو تسعة ويتلو عليهم قوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ليكرس في أذهان الناس انهم هم أهل البيت وان (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>(٤)(٥)</sup> لا يراد بها إلا هم! فتطوع الزهري

(١) راجع تمام رسالته عليه السلام للزهري في الملحق.

(٢) سورة الكهف: آية ٥٤.

(٣) سورة طه: آية ١٣٢.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) روى الحافظ الحسكافي (الحنفي) قال: أخبرنا الحاكم الوالد (بإسناده المذكور) عن أبي الحمراء خادم النبي صلى الله عليه واله وسلم: إنّه لما نزلت هذه الآية: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)). كان النبي صلى الله عليه واله وسلم يأتي باب علي وفاطمة كل صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). شواهد التنزيل. وهامشه/ ج ١/ ص ٣٨١. ص ٣٨٢.

تفسير تفسير القرآن/ علي بن ابراهيم القمي (ت القرن ٤ هـ) مصنف و مدقق

وقوله: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)) فإن الله أمره أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهل محمّد صلى الله عليه واله وسلم عند الله منزلة خاصة ليست للناس إذ أمرهم مع الناس عامة ثم أمرهم خاصة فلما أنزل الله هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يجيء كل يوم عند صلاة الفجر حتى يأتي باب علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فيقول: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين وعليك السلام يا

لوضع هذا الحديث ليصورهما (عليهما السلام) متناقلين عن الصلاة ويصوّر انزعاج النبي صلى الله عليه واله وسلم منه عليه السلام ووصفه له بأنه أكثر شيء جدلاً!

والأغرب من ذلك انه ترقى في عداته وكذبه وتدليسه وحقده حتى وضع الحديث التالي:

كما روى الزهري عن عائشة أنها قالت: كنت يوماً عند رسول الله فجاء العباس وعلي فقال رسول الله: يا عائشة هذان يموتان على غير ديني!! وذلك ما لم يقله إلا أبغض النواصب وأشدّهم حقداً وخبثاً ومكراً ودناءة. فهذا كله من جهة ومن جهة أخرى كان يكذب في الاتجاه الآخر أيضاً إذ كان من أكاذيب الزهري ولأجل أن يلبس على الناس ويخفف من حدّة كراهيتهم لآل مروان يقول: (وكان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك)!!.

### ٥- ان جماهير الناس، في معرفة الحق، ليسوا هم المقياس!

ومن المعادلات: ان الكثير من الناس يتصور ان الحق هو مع هذه الحكومة أو تلك، لا للتضليل الإعلامي فحسب بل لأنهم يجدون الحكومات قادرة على تحشيد الملايين من الناس في الشوارع وفيهم العلماء وأساتذة الجامعات ووجوه المجتمع، فكيف تكون الحكومة على باطل!

ولكن ذلك غفلة عن ان (الحق) لا يعرف بذلك.. وإلا لكان فرعون والحجاج وهتلر وستالين، من سادة المحققين وطليعة أهل الحق، وكان النبي موسى عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام والمظلومون على باطل! ويكفي ان نشير إشارة خاطفة إلى ان الناس كيف تخلّوا - بعلمائهم ووجهائهم - عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام وعن البضعة الطاهرة وانحازوا إلى صف الطغاة بل وشارك كثير منهم في العدوان السافر ضد سيد الأوصياء أو - على الأقل - لم يحركوا ساكناً حين هجم الأعداء الغاصبون على دار ابنة الرسول وبضعته وأحرقوا الباب ولطموا خدّ سيدة نساء العالمين، وما أعظمها من فاجعة كبرى تهتز لها الجبال الرواسي وتبكي لها العيون دماً.

قال سليمٌ قلتُ يا سلماً  
فَقَالَ إِي وَعِزَّةَ الْجِبَارِ  
لكنها لاذت وراء البباب  
فمذ رأوها عصروها عصره  
نادت أيا فضة أسنديني  
هل دخلوا ولم يك اسـتـتـدان  
وما على الزهراء من خمـار  
رعايةً للستر والحجاب  
كادت بنفسي أن تموت حسره  
فقد وري أسقطوا جنيـني

رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم يأخذ بعضادتي الباب ويقول الصلاة الصلاة يرحمكم الله: ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) فلم يزل يفعل ذلك كل يوم إذا شهد المدينة حتى فارق الدنيا، وقال أبو الحمراء خادم النبي صلى الله عليه واله وسلم أنا أشهد به يفعل ذلك. وفي العيون عن الرضا عليه السلام في هذه الآية قال خصّنا الله بهذه الخصوصية إذا امرنا مع الأمة بإقامة الصلاة ثم خصّنا من دون الأمة فكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهم السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرات فيقول الصلاة رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الانبياء يمثل هذه الكرامة التي أكرمتنا بها وخصّنا من دون جميع أهل بيتهم.

فَأَسْقَطَتْ بِنْتُ الْهَدَىٰ وَحَزْنَا  
 أَتَضَرَّمُ النَّارُ بِبَابِ دَارِهَا  
 وَبَاهُهَا بَابُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ  
 بَلْ بَاهُهَا بَابُ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى  
 مَا كَتَسَّ بُوَابُ النَّارِ غَيْرَ الْعَارِ  
 مَا أَجْهَلَ الْقَوْمَ فَإِنَّ النَّارَ لَا  
 فَاحْمَرَّتِ الْعَيْنُ وَعَيْنُ الْمَعْرِفَةِ  
 وَلَا يُزِيلُ حُمْرَةَ الْعَيْنِ سِوَى  
 وَلِلسَّيَاطِ رَنْةٌ صَدَاهَا  
 وَالْأَثَرُ الْبَاقِي كَمَثَلِ الدَّمْلَجِ  
 وَمَنْ سَوَادٍ مَتْنَهَا اسْوَدَّ الْفُضَا  
 وَوَكَّرُ نَعْلِ السَّيْفِ فِي جَنِينِهَا  
 وَلَسْتُ أَذْرِي حَبَرَ الْمِسْمَارِ  
 وَفِي جَبِينِ الْمَجْدِ مَا يُدْمِي الْحَشَا  
 وَالْبَابُ وَالْجِدَارُ وَالِدِمَاءُ  
 قَالَ سَلِيمٌ قَلْتُ يَا سَلْمَانَ  
 لَقَدْ جَنَى الْجَانِي عَلَى جَنِينِهَا  
 أَهَكَذَا يُصْنَعُ بِإِنْبَةِ النَّبِيِّ  
 أَمْتَنُغُ الْمَكْرُوبَةَ الْمُقْرُوحَةَ  
 وَاللَّهُ يَنْبَغِي لَهَا تَبْكِي دَمًا  
 لِفَقْدِ عِزِّهَا أَيْبَاهَا السَّامِي  
 لَكِنْ كَسَرَ الضِّلَعِ لَيْسَ يَنْجِرُ  
 إِذْ رَضُ تِلْكَ الْأَضْلَعِ الزَّكِيَّةُ

جَنِينِهَا ذَاكَ الْمَسْمَى مُحْسِنًا  
 وَآيَةُ النُّورِ عَلَى مَنَارِهَا  
 وَبَابُ أَبْوَابِ نَجَاةِ الْأُمَّةِ  
 فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ قَدْ تَجَلَّى  
 وَمَنْ وَرَائِهِ عَذَابُ النَّارِ  
 تُطْفَأُ نُورَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَى  
 تُذْرَفُ بِالدمعِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ  
 بِبَيْضِ السُّيُوفِ يَوْمَ يُنْشَرُ الْوَالِوَا  
 فِي مَسْمَعِ الدَّهْرِ فَمَا أَشْجَاهَا  
 فِي عَضُدِ الزُّهْرَاءِ أَقْوَى الْحُجْجِ  
 يَا سَاعِدَ اللَّهِ الْإِمَامَ الْمُرْتَضَى  
 أَتَى بِكُلِّ مَا أَتَى عَلَيْهَا  
 سَلَّ صَدْرَهَا خِزَانَةَ الْأَسْرَارِ  
 وَهَلْ هُمْ إِخْفَاءُ أَمْرٍ قَدْ فَشَا  
 شُهُودُ صِدْقٍ مَا يَمَّا خَفَاءُ  
 هَلْ دَخَلُوا وَلَمْ يَكِ اسْتِئْذَانُ  
 فَأَنْدَكْتَ الْجِبَالَ مِنْ حَيْنِهَا  
 حِرْصًا عَلَى الْمَلِكِ فَيَا لِلْعَجَبِ  
 عَنِ الْبُكَاءِ خَوْفًا مِنَ الْفَضِيحَةِ  
 مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَدَارَتِ السَّمَاءُ  
 وَلَا هَتَّصَ سَامِيهَا وَذَلِ الْحَامِي  
 إِلَّا بِصِمَصَامِ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرِ  
 رَزِيَّةٌ مَا مِثْلُهَا رَزِيَّةٌ

ومع كل تلك الجرائم المروعة لم يفعل الناس شيئاً إما لجبن وخوف أو لطمع في مال أو منصب أو شبه ذلك، وقد قال سيد الشهداء عليه السلام: ((التَّاسُ عَيْدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ

### السيد الحكيم مسيرة علم وجهاد

وأخيراً لنضرب مثلاً من التاريخ القريب يضحّ بالعبّر والدروس والدلالات، عن احد أكبر مراجع التقليد العظام الذين تصدّوا للحكومات الجائرة الظالمة ودفعوا ضريبة ذلك غالية جداً، ولكن ذلك لم يُثْنِهم عن مواصلة المسيرة الجهادية لعشرات السنين رغم كافة الضغوطات المرعبة، ورغم ان الناس تخلّوا عنهم في أخرج اللحظات، ليعيد التاريخ نفسه وفي هذه اللقطات من التاريخ المعاصر نجد أنموذجاً مشرقاً من الوكلاء في عصر الغيبة ينطق بعمق المأساة في خذلان الأكثر حتى للمرجع الأعلى إذا ما قارع الحكام الظلمة وواجههم بمّر الحق ولم ينحن لهم ولم يرضخ لباطلهم.

السيد محسن الحكيم المرجع الأعلى في زمانه.. كان من طلائع العلماء المجاهدين منذ سني عمره المبكرة ففي عام ١٩١٤ م (وكان عمره آنذاك ٢٥ عاماً) شارك في ثورة الشعبية البصرة ضد الإنكليز، التي قادها علماء الدين وعلى رأسهم السيد مُجّد سعيد الحبوبي والسيد علي الداماد والسيد عبد الرزاق الحلو والسيد مهدي الحيدري وغيرهم.

وقد قاد هؤلاء العلماء الشعب العراقي لمقاتلة الانكليز ومنعهم من دخول العراق ودارت معارك ضارية في منطقة الشعبية، وقد استشهد في هذه المعارك عدد من العلماء، ثم شارك السيد الحكيم في ثورة العشرين بقيادة الميرزا الشيرازي ثم شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ مُجّد جواد الجزائري والشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي والشيخ جواد الجواهري والشيخ مهدي الخالصي وغيرهم.

### عبد الكريم يتبني الشيوعيين، والحكيم يواجهه بصلافة

وفي عام ١٩٥٨ وبعد انقلاب ١٤ تموز، تبني عبد الكريم قاسم سياسة تضرب الدين في الصميم إذ تحالف مع الحزب الشيوعي وفتح له المجال بل واحتضنهم وأعطائهم أعلى المناصب في الدولة وسخر لهم كافة الامكانيات والأموال والإعلام وغير ذلك مستهدفاً ان يجولهم إلى رقم صعب يحكم الشعب كله، منطلقاً من فلسفة خرقاء إذ أراد دفع الفاسد بالأفسد حيث أراد مواجهة التيار القومي الذي يقوده جمال عبد الناصر، بالتيار الشيوعي الذي لا يقارن به من حيث الفساد من كل الجهات..

وعند ذاك تصدى السيد الحكيم وسائر العلماء لهذا المخطط بكل قوة وذلك على الرغم من جوّ الرعب الحاكم إذ كانوا الشيوعيون يسحلون من يعارضهم بالشوارع ويقتلون المعارضين بدم بارد بتأييد من عبر الكريم قاسم شخصياً، فاصدر فتواه المعروفة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

لا يجوز الإنتماء للحزب الشيوعي، فإن ذلك كفر وإلحاد، أو ترويج للكفر والإلحاد. أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». محسن الطباطبائي الحكيم - ١٧ شعبان ١٣٧٩. وقد وافق ذلك ١٥/٢/١٩٥٩ م) وسارع العلماء الأعلام إلى تأييد المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم في فتواه ومنهم آيات الله العظام السيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محمود الشاهرودي والسيد ميرزا مهدي الشيرازي والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد عبد الله الشيرازي والشيخ عبد الكريم الزنجاني والسيد جواد التبريزي و الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد مُجّد علي الطباطبائي والشيخ مرتضى آل

(١) الحسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٤٥.

## انتقام السلطات والشيوعيين من السيد الحكيم والمتدينين

وفي مقابل ذلك وغيره أطلق الشيوعيون حملات تسقيطية: سياسية - اجتماعية - جماهيرية - فكرية رهيبية ضد رجال الدين والمتدينين، وكان من ذلك:

أ- أنهم وصموا الدين بانه (أفيون الشعوب) وانه رجعية وتحلف.

ب- بل وأكثر من ذلك عمموا على كافة كوادرهم ووسائل إعلامهم ان (كل متدين فهو مجرم) والسبب (انه يعيق تقدم المجتمع)! ومن الواضح ان مفردة (المجرم) تتسع إلى درجة الحكم عليه بانه يستحق القتل بأبشع الصور، كما كانوا يفعلون ذلك بالفعل! إذ تكرر ان أمسكوا ببعض المعارضين وربطوا إحدى رجله إلى سيارة ورجله الأخرى إلى سيارة أخرى بجبال قوية.. ثم وفي مظاهرات صاحبة مرعبة تنطلق السيارات بسرعة كبيرة في اتجاهين متضادين لكي يرى الناس بأثم أعينهم كيف ينشط المتدين المعارض إلى شطرين بأفجع الصور لمجرد انه عارض الشيوعية!

ج- وحركوا الجهلة والغوغاء ضد السيد الحكيم، حتى انه بلغ من وقاحتهم أن صاحب دكان مجاور لمنزل السيد محسن الحكيم، كان عندما يخرج السيد من داره يرفع صوت المدياع بأناشيد الشيوعيين، حتى إذا اقترب السيد من دكانه رفع صوته: عفلقي عفلقي! بمعنى انه من جماعة ميشيل عفلق، وكان ذلك هو إتهامهم المعلن لمن لا يخضع لعبد الكريم! وكان من جملة شعاراتهم: ولما يصفنك عفلقي، والحبال موجودة! أي: من لم يصفق للشيوعيين ولعبد الكريم فهو بعثي، والحبال جاهزة لكي تسحله في الشوارع!

وإذا رجعتم إلى الوراثة وعشتم في تلك الأجواء وتجدتم الرعب الحاكم على العراق كله لعرفتم قيمة الجهاد والمجاهدين وانه لولاهم لالتهمت الشيوعية العراق وعمّ الإلحاد والفساد بأبشع صورته، بلاد علي والحسين (عليهما الصلاة والسلام)! د- وبلغت الحالة من الشدة إلى درجة ان طلاب الحوزة العلمية كانوا لا يتجرأون على الخروج إلى دروسهم وإلى المساجد فرادى إذ كان يمكن ان تهاجمهم في كل لحظة جماعات المقاومة الشعبية!

وكان كثير من الطلاب وعوائلهم يعيشون في رعب وقلق إذ كان يحتفل في كل ليلة ان تهجم عليهم في بيوتهم قوات المقاومة الشعبية وتقتادهم إلى المجهول أو تقتلهم رأساً! هذا.

## حزب البعث يواجه الحوزة العلمية ويطارد العلماء

وفي العام ١٩٦٨ قام حزب البعث، وبتخطيط ومساندة أسياده، بانقلاب عسكري وأمسكوا بزمام الحكم في العراق بالعنف والإرهاب وقاموا بمطاردة العلماء وملاحقة المؤمنين، بل نص قرار صادر عن القيادتين القطرية والقومية في ٤ نيسان ١٩٦٩ م على ضرورة القضاء على المرجعية الدينية لأنها العقبة الكبرى أمام أهدافهم<sup>(١)</sup>..

وقد أقدمت السلطات الجائرة على تسفير أعداد كبيرة من طلبة العلوم الدينية والعلماء الى ايران متذرعين بان أصلهم إيراني وكانت عناصر الأمن تدهم المدارس الدينية وتعتقل الطلاب والعلماء وتسوقهم إلى السجون وكان السيد محسن الحكيم في كربلاء

(١) راجع مذكرات حردان التكريتي.

لزيارة الاربعين فقطع زيارته ورجع إلى النجف احتجاجاً على ذلك، وقد أرسلت السلطات وفداً رفيع المستوى لمقابلة السيد الحكيم وتهدئته وكان في الوفد حردان التكريتي.

### المرجعية العليا تستعرض قوتها الجماهيرية

ثم سافر السيد الحكيم إلى بغداد ليستعرض قوة المرجعية الدينية العليا وجماهيريتها وقال حردان التكريتي في مذكراته: (ان السيد الحكيم سافر الى بغداد بحجة المرض وكان يقصد عرض القوة التي يتمتع بها، وفعلاً جاءت إليه الوفود من كل مكان وعندما زاره اثنان من المسؤولين موفدين من قبل الرئيس خاطبهم بلهجة قاسية مطالباً اياهم الافراج الفوري عن رجال الدين والكف عن ملاحقة الآخرين)<sup>(١)</sup>.

### السلطات تعتقل العلماء وتحاصر المرجع الأعلى

والآن لننتقل إلى الوجه الآخر للأمر، فقد افتعلت الحكومة مسرحية هزيلة اتهمت فيها نجل المرجع الأعلى، وهو العلامة السيد مهدي الحكيم كما اتهمت السيد العم آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي بالتجسس وأمرت بإلقاء القبض عليهما فأمكنهم اعتقال السيد العم وعذبوه في سجن بعقوبة بأنواع من التعذيب بلغت ٤٤ نوعاً! وكان منها انهم كانوا يدقون ابراً طويلاً بالمطرقة في أصابع يديه (بين الأظفر والأصبع) حتى تنفذ إلى أواسط الأصبع أو تنكسر! ولَكُمْ ان تتصوروا العذاب الرهيب والألم الشديد الذي يعتصر السجين في تلك الدقائق وحتى إلى أيام أو أسابيع! وقد ذكر السيد الوالد قدس سره أنواعاً كثيرة منها في كتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحربة والرفاه والسلام).

واما السيد مهدي الحكيم فقد أمكنه ان يهرب متخفياً.. ولكن قوات الأمن طوقت منزل المرجع الأعلى السيد الحكيم وقطعت عنه الماء والكهرباء لفترة من الزمن.. ومع ذلك كله لم نجد الناس يحركون ساكناً.. نعم خرجت بعض المظاهرات وعطلت الأسواق لفترة، ولكن الناس استسلموا بعد ذلك! وبقي السيد الحكيم وحده! ولكن ذلك كله لم يثنه عن عزمه أبداً.

وموطن الشاهد: ان تلك الأيام انقضت.. وبقي السيد الحكيم قامة شامخة في سماء العلم والجهاد.. ورمى التاريخ الشيوعيين والبعثيين بلعناته وأصبحوا مثلاً للطغاة الذي ينتقم الله منهم شر انتقام ولو بعد مضي السنين والأعوام فان (الله يمهل ولا يهمل) و((قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُمְهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى يَقُولَ قَدْ أَهْمَلَنِي ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذَةً رَابِيَةً، إِنَّ اللَّهَ حَمَدَ نَفْسَهُ عِنْدَ هَلَاكِ الظَّالِمِينَ فَقَالَ (فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)<sup>(٢)</sup>))<sup>(٣)</sup> و(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)<sup>(٤)</sup> والتاريخ يعيد نفسه وباستمرار...

### مستقبلكم بأيديكم: إما من أعوان الظلمة أو من أنصار المظلومين!

وكلكم أخوتي الأفاضل وأبنائي الكرام طوال سني عمركم القادمة وقد تكون عشرات السنين بإذن الله، ستواجهون حكومات جائرة في أي بلد عشتم فيه وستشهدون قرارات ظالمة من الحكومات المتعاقبة.. فاحسموا أمركم: فهل تريدون عرض الحياة الدنيا

(١) مذكرات حردان التكريتي، ص ١٩.

(٢) سورة الأنعام: آية ٤٥.

(٣) الحسن بن أبي الحسن الديلمي، أعلام الدين، مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم، ص ٣١٥.

(٤) سورة الفجر: آية ١٤.

أم تريدون رضا الله والآخرة! وهل تريدون عزاً زائلاً أو مجداً خالداً؟ وهل تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو تكونون من أعوان الظلمة وأنصار المستبدين؟.. مهما كان فتذكروا قوله تعالى: (وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) <sup>(١)</sup> و(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) وقوله عليه السلام: ((وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَعْبٍ مَظْلُومٍ)) <sup>(٢)</sup> وقوله عليه السلام: ((مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا سُلْطَانٍ وَكَثْرَةً بِلَا إِخْوَانٍ وَهَيْبَةً بِلَا مَالٍ فَلْيَنْتَقِلْ مِنْ ذُلِّ مَعَاصِي اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ)) <sup>(٣)</sup>

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

(١) سورة هود: آية ١١٣.

(٢) السيد الشريف الرضي، نهج البلاغة، دار الهجرة للنشر - قم، ص ٤٩.

(٣) الحسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٣٧٦.

## الملحق:

كِتَابُ الْإِمَامِ السَّجَادِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الرَّهْرِيِّ يَعِظُهُ:

(كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتَنِ وَرَحِمَكَ مِنَ النَّارِ فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ فَقَدْ أَنْقَلْتِكَ نِعَمَ اللَّهِ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ مِنْ عُمُرِكَ وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجُجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ وَعَرَّفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ لَكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ وَفِي كُلِّ حُجَّةٍ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْكَ الْفَرَضَ فَمَا قَضَى إِلَّا ابْتَلَى شُكْرَكَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَى فِيهِ فَضْلَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ (لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) فَانظُرْ أَيُّ رَجُلٍ تَكُونُ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ قَابِلًا مِنْكَ بِالْتَّعْذِيرِ وَلَا رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَيْسَ كَذَلِكَ أَحَدٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَأَخَفَّ مَا احْتَمَلْتَ أَنْ آنَسْتَ وَحَشَةَ الظَّالِمِ وَسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْعِيِّ بِدُنُوكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبَوُّءَ بِإِثْمِكَ غَدًا مَعَ الْخُونَةِ وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّالِمَةِ إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِنْ أَعْطَاكَ وَدَنَوْتَ مِنْ مَنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا وَمَنْ تَرُدُّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ وَأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللَّهُ أَوْلَيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ جَعَلُوكَ قُطْبًا أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ وَجِسْرًا يَعْبرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بَلَايَاهُمْ وَسَلْمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ دَاعِيًا إِلَى غِيهِمْ سَالِكًا سَبِيلَهُمْ يُدْخِلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَبْلُغْ أَحْصُ وُزْرَائِهِمْ وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ وَاخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ فَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطُوكَ فِي قَدْرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ وَمَا أَيْسَرَ مَا عَمَرُوا لَكَ فَكَيْفَ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ فَانظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ وَحَاسِبُهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ وَانظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَدَّاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارٍ مُقَامٍ أَنْتَ فِي دَارٍ قَدْ آدَنْتَ بِرَحِيلٍ فَمَا بَقَاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ فُرْنَائِهِ طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ يَا بُؤْسَ لِمَنْ يَمُوتُ وَتَبَقَى ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ اخْذَرْ فَقَدْ نُبِّئْتَ وَبَادِرْ فَقَدْ أُجِلَّتْ إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ



لَا يَجْهَلُ وَإِنَّ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ لَا يَغْفُلُ تَجَهَّزْ فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ بَعِيدٌ وَدَاوِ ذَنْبَكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سُقْمٌ شَدِيدٌ وَلَا تَحْسَبْ  
أَيُّ أَرَدْتُ تَوْبِيخَكَ وَتَعْنِيفَكَ وَتَعْيِيرَكَ لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْعَشَ اللَّهُ مَا قَدْ فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ وَيَرُدَّ إِلَيْكَ مَا عَزَبَ مِنْ دِينِكَ  
وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْقَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْنَانِكَ وَأَقْرَانِكَ وَبَقِيَتْ  
بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ أَعْضَبَ انْظُرْ هَلِ ابْتُلُوا بِمِثْلِ مَا ابْتُلَيْتَ أَمْ هَلِ وَقَعُوا فِي مِثْلِ مَا وَقَعْتَ فِيهِ أَمْ هَلِ تَرَاهُمْ ذَكَرْتَ خَيْرًا  
عَلِمُوهُ وَعَلِمْتَ شَيْئًا جَهْلُوهُ بَلْ حَظِيَتْ بِمَا حَلَّ مِنْ حَالِكَ فِي صُدُورِ الْعَامَّةِ وَكَلَّفَهُمْ بِكَ إِذْ صَارُوا يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ  
وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ إِنْ أَحَلَّتْ أَحَلُّوا وَإِنْ حَرَّمَتْ حَرَّمُوا وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَلَكِنْ أَظْهَرَهُمْ عَلَيْكَ رَغْبَتَهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ  
ذَهَابُ عُلَمَائِهِمْ وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ أَمْ مَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ  
وَالْغَرَّةِ وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ قَدْ ابْتَلَيْتَهُمْ وَفَتَنْتَهُمْ بِالشُّغْلِ عَنِ مَكَاسِبِهِمْ مِمَّا رَأَوْا فَتَأَقَّتْ نُفُوسُهُمْ إِلَى أَنْ  
يَبْلُغُوا مِنَ الْعِلْمِ مَا بَلَغْتَ أَوْ يُدْرِكُوا بِهِ مِثْلَ الَّذِي أُدْرِكْتَ فَوَقَعُوا مِنْكَ فِي بَحْرٍ لَا يُدْرِكُ عَمْقُهُ وَفِي بَلَاءٍ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ  
فَاللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ أَمَّا بَعْدُ فَأَعْرِضْ عَنْ كُلِّ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِالصَّالِحِينَ الَّذِينَ دُفِنُوا فِي أَسْمَائِهِمْ لَا صِقَّةَ  
بُطُونُهُمْ بِظُهُورِهِمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ وَلَا تَفْتِنُهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يُفْتَنُونَ بِهَا رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا فَإِذَا  
كَانَتِ الدُّنْيَا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ مَعَ كِبَرِ سِنِّكَ وَرُسُوحِ عِلْمِكَ وَحُضُورِ أَجْلِكَ فَكَيْفَ يَسْلَمُ الْحَدِيثُ فِي سِنِّهِ  
الْجَاهِلُ فِي عِلْمِهِ الْمَأْفُونُ فِي رَأْيِهِ الْمَدْحُولُ فِي عَقْلِهِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مِنَ الْمَعْوَلِ وَعِنْدَ مِنَ الْمُسْتَعْتَبِ نَشْكُو  
إِلَى اللَّهِ بِنِّانًا وَمَا نَرَى فِيكَ وَنَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مُصِيبَتَنَا بِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَدَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا وَكَيْفَ  
إِعْظَامُكَ لِمَنْ جَعَلَكَ بِدِينِهِ فِي النَّاسِ جَمِيلًا وَكَيْفَ صِيَانَتُكَ لِكِسْوَةِ مَنْ جَعَلَكَ بِكِسْوَتِهِ فِي النَّاسِ سَتِيرًا وَكَيْفَ قُرْبُكَ أَوْ  
بُعْدُكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قَرِيبًا ذَلِيلًا مَا لَكَ لَا تَنْتَبِهَ مِنْ نَعْسَتِكَ وَتَسْتَقِيلُ مِنْ عَثْرَتِكَ فَتَقُولَ وَاللَّهِ مَا قُمْتُ لِلَّهِ  
وَاحِدًا أَحْيَيْتُ بِهِ لَهُ دِينًا أَوْ أَمْتُ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا فَهَذَا شُكْرُكَ مَنْ اسْتَحْمَلَكَ مَا أَخَوْفِي أَنْ تَكُونَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
كِتَابِهِ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا اسْتَحْمَلَكَ كِتَابَهُ وَاسْتَوَدَعَكَ عِلْمَهُ فَأَضَعْتَهَا فَنَحْمَدُ اللَّهَ  
الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَالسَّلَامُ<sup>(١)</sup>

(١) الحسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٧٤-٢٧٧.